

من وصية للميرزا جواد الملكي التبريزي رحمته الله

اجتنبوا أهل الغفلة

إعداد: «شعائر»

كتب العالم الأصولي والفقيه المتبحر آية الله الشيخ محمد حسين الغروي رحمه الله رسالة إلى آية الله الملكي التبريزي قدس سره، طلب فيها التوجيه بشأن المقدمات الموصلة إلى الله تعالى، فكتب له الشيخ الملكي التبريزي هذه الوصية وضمّنها توجيهات أستاذه الفقيه العارف الشيخ حسين قلي الهدماني. هذا النص هو مختصر ما ورد في هذه الوصية، نقلاً عن كتاب (وصايا العرفاء) للسيد حسين نجيب محمد.



الميرزا جواد الملكي التبريزي رحمته الله

الصلوات، والأكثر أهمية أذكار وقت النوم الماثورة في الأخبار، مع التشديد على أن ينام وهو على طهارة.

وكان يقول بشأن مدة التهجد في الأسحار: ثلاث ساعات في أسحار الشتاء، وساعة ونصف

في أسحار الصيف، وكان يقول: لقد رأيت أنا الكثير من الآثار للذكر اليونسي - يعني المداومة عليه كل يوم - وكلما استطاع أن يكثر منه زادت آثاره، وأقل الأقل منه هو (٤٠٠) مرة، وقد جربت ذلك أيضاً، وادّعى عدّة أشخاص تجربته والحصول على آثاره. [الذكر اليونسي هو من الآية ٨٧ من سورة الأنبياء: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ]

والأمر الآخر هو تلاوة القرآن الكريم بنية إهداء ثواب التلاوة إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله. وأما في الفكر والتفكير فكان يقول: بالنسبة للمبتدئ: فليتفكر في الموت...

والخلاصة: يجب أن يترقى الإنسان أولاً من عوالم الطبيعة إلى عالم المثال، ثم منه إلى عالم الأرواح والأنوار الحقيقية، وأنتم أعرف - بالطبع - بالبراهين العلمية على ذلك. والعجب أن التصريح بهذه المراتب ورد في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان - وهو زمن وصول هذه الرسالة - حيث يقول صلى الله عليه وآله فيها: «سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي وَبَيَاضِي».

لقد قالوا بأن الطريق المطلوب في هذا السير هو معرفة النفس، لأن الإنسان إذا لم يعبر بنفسه عالم المثال فلن يصل إلى العالم العقلي، وما لم يصل إلى العالم العقلي فلن تحصل له حقيقة المعرفة، ولن يصل إلى مطلوبه.

لذلك، فمن أجل بلوغ هذا المقصود كان المرحوم المغفور جزاه الله عنا خير جزاء المعلمين [يقصد أستاذه الشيخ حسين قلي الهدماني قدس سره] يقول: يجب على الإنسان أن يقلل الطعام والنوم إلى دون المقدار المتعارف بعض الشيء، لكي تضعف فيه الجنبه الحيوانية، وتقوى فيه الجنبه الروحانية.

وكان يبيّن المعيار في ذلك بالقول:

يجب أولاً أن لا يأكل في نهاره وليله أكثر من وجبتين، ويجتنب تناول الطعام بينهما.

وثانياً، أن لا يأكل إلا بعد ساعة - مثلاً - من شعوره بالجوع، ويأكل بالمقدار الذي لا يشبع معه بالكامل. هذا في ما يرتبط بمقدار الطعام.

أما تقليل النوم، فكان يقول: ينام في الليل والنهار ست ساعات، وأن يهتم كثيراً بحفظ اللسان واجتناب أهل الغفلة، وهذه الأمور كافية في إضعاف الجنبه الحيوانية.

وأما تقوية الجنبه الروحانية، فيلزم لها:

أولاً: أن يكون فيه دائماً همٌّ وحزنٌ قلبي بسبب عدم وصوله إلى المطلوب.

ثانياً: أن لا يترك - قدر المستطاع - الذكر والتفكير، فهما جناحا التحليق في سماء المعرفة.

وعماد ما يوصى به في الذكر هي أذكار الصباح والمساء، وأهمها تلك الواردة في الأحاديث الشريفة، وبالأخص تعقيبات

وصية الشهيد السيد محمد صادق الصدر عليه السلام إلى بعض تلامذته مجاهدة النفس بالعمل، والقلب

الشهيد السيد محمد صادق الصدر قدس سره أشهر من نور على علم؛ فهو الفقيه، الأصولي، المفسر. وكان على درجة عالية من العرفان والسلوك العملي. وكان يرى أن عرفاء هذا العصر هم: الإمام الخميني قدس سره، والسيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره. في ما يلي وصية وجهها رضوان الله عليه إلى بعض تلامذته، نوردها نقلاً عن كتاب (وصايا العرفاء).



الشهيد السيد محمد صادق الصدر عليه السلام

فقال صلى الله عليه وآله: (أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ).

ويحسن أن يكون الدعاء في السجود بهذا الدعاء المأثور: «إلهي عَصِيَّتْكَ بِلساني وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتْكَ لِأَخْرَسْتَنِي، وَعَصِيَّتْكَ بِبَصَرِي وَلَوْ شِئْتَ

وَعِزَّتْكَ لِأَكْمَهْتَنِي، وَعَصِيَّتْكَ بِسَمْعِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتْكَ لِأَصْمَمْتَنِي، وَعَصِيَّتْكَ بِيَدَيَّ وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتْكَ لِكَتَعْتَنِي، وَعَصِيَّتْكَ بِرِجْلَيَّ وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتْكَ لِجَذَمْتَنِي، وَعَصِيَّتْكَ بِفَرْجِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتْكَ لَعَقَمْتَنِي، وَعَصِيَّتْكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَلَيْسَ هَذَا جَزَاؤُكَ مِنِّي يَا كَرِيم» ثم يقول ألف مرة (العفو).

فهذا هو الالتزام العملي، وأما القلب فيتكوّن من أربع صفات على الأقل: التوكل، والرضا، والأناة، (بمعنى عدم استعجال العطاء)، والذكر المستمر مهما أمكن (طبعاً الذكر القلب).

ولكن - وهذه مسؤولية لا بد من تحملها الآن - أن تعلم أن من كانت طاعاته قلبية تكون ذنوبه قلبية أيضاً، ويحاسب على الخطرات، وتكون كربته منها شديدة، حتى يأذن الله بالفرج، ويجعل الله لعبده فرجاً وخرجاً، ولعل في الطاعات العملية والقلبية المشار إليها ما يخفف من حدة ذلك، أو يزيله ولو نسبياً بإذن الله تعالى.

أولاً: حاول أن تكون على طهارة من الحدث من كلا نوعيه الأكبر والأصغر باستمرار، وارفح الحدث بعد حصوله مباشرة.

ثانياً: حاول أن لا تسمع الراديو ولا تنظر إلى التلفزيون صورة ولا صوتاً بقصد مجرّد اللهو، فإن اللهو مع الحاجة إليه يكفي فيه الكتب والعائلة والطعام والشراب والجهد الأصغر ونحوه، ولا ينبغي أن يشمل الراديو والتلفزيون، حتى وإن كان الشيء الصادر فيها حلالاً، فضلاً عما إذا كان حراماً.

ولكن ممارستها المحللة بقصد راجح لا بأس به، كما لو كان بقصد الاهتمام بأمور المسلمين أو البحث عن عبرة أو موعظة مقصودة أو غير مقصودة لقائلها، أو الاطلاع على قوانين خلق الله سبحانه في الأرض والسماء، ولكن ذلك مهما كان لا ينبغي أن يحول دون الالتزام (..) بالجهد الأكبر على أي حال.

ويحسن التزامك بأمرين؛ أحدهما عملي، والآخر قلبي.

أما العملي: فيحسن - أولاً - إكثار البكاء إما خوفاً من الله سبحانه، أعني أسفاً من الذنوب والعيوب وشوقاً إلى السلامة منها، وإما حزناً على مصائب الإمام الحسين عليه السلام، الذي هو رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمة.

وأنا أعلم أن البكاء ليس مما يتيسر دائماً، بل لعله متعذر دائماً، إلا أنه يكفي منه قصده أولاً، وممارسته ثانياً مع الإمكان في أوقات الخلوة وصفاء القلب.

كما يحسن ثانياً: الإكثار من السجود الطويل نسبياً، ففي ذاكري من الحديث الشريف عن ربيعة بن كعب السلمي، أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله: أسألك مرافقتك في الجنة،